



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



الأسواق المغاربية من خلال كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي نموذجاً (ق6هـ/12م)

Maghreb markets through the book "Nuzhat al-Mushtaq fi Ikhtiraq al-Afaq" by Al-Idrisi as an example (6th century AH/12th century AD)

طالب الدكتوراه يعقوب حاج نغاس¹، الدكتورة حفصة معروف²

¹ جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف، الجزائر.

² جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

Key words:

Markets

Travel and Geography
Books

Al-Idrisi

The Book of the Excursion
of the Yearning One to
Penetrate the Horizons.

Abstract

Markets are the lifeblood of the economy and form the foundation of the Islamic city. They were vital centres for merchants, craftsmen and farmers alike. As well as being places to buy, sell and exchange goods, they were also vital centres of social and cultural activity. Markets became widespread in the Islamic Maghreb in the sixth century AH (sixteenth century CE). However, these markets varied in size, location, time of establishment and other characteristics and features from place to place. Travel and geography books addressed the subject of markets, describing them briefly based on their conditions at the time. One example is the book "Nuzhat al-Mushtaq fi Ikhtiraq al-Afaq" by the traveller and geographer Al-Idrisi. This article aims to shed light on these markets by examining Al-Idrisi's writings in "Nuzhat al-Mushtaq fi Ikhtiraq al-Afaq" as a model. Al-Idrisi referred to markets in the Islamic Maghreb and described their conditions in the 12th century CE in numerous and scattered parts of his aforementioned book.

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2025-09-21

القبول: 2025-11-20

الكلمات المفتاحية:

الأسواق

كتب الرحلة والجغرافيا

الإدريسي

كتاب نزهة المشتاق في

اختراق الآفاق.

تعد الأسواق شريان الحياة الاقتصادية وهي من الأسس التي تقوم عليها المدينة الإسلامية، حيث مثلت مراكز حيوية للتجار والحرفيين وحتى المزارعين، إذ لم تكن مجرد مكان لبيع وشراء وتبادل سلعهم، وتلبية احتياجاتهم، بل كانت أيضاً مراكز حيوية للنشاط الاجتماعي والثقافي، ولقد انتشرت الأسواق بشكل كبير في بلاد المغرب الإسلامي في القرن السادس هجري، بيد أن هذه الأسواق تختلف من مكان لآخر سواء في الحجم أو مكان أو زمن إقامتها وغيرها من الخصائص والسمات، ولقد عالجت كتب الرحلة والجغرافيا موضوع الأسواق ووصفتها عرضاً على حسب ما كانت عليها في زمنها كالحالة الجغرافية للإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق".

ويهدف هذا المقال بشكل أساسي إلى تسليط الضوء على هذه الأسواق من خلال كتابات الرحالة والجغرافي الإدريسي منها كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" كنموذج، حيث أشار هذا الأخير إلى الأسواق في بلاد المغرب الإسلامي ووصف أحوالها في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي في مواضع عديدة ومتفرقة في كتابه السالف الذكر.

1. مقدمة

العلويين، فنسبه يعود إلى جده الأعلى إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى (السعدي، 2010، صفحة 431)، كما لقب بالحمودي نسبة لجده الأصغر حمود مؤسس الدولة الحمودية في جنوب الأندلس، قال عنه ابن بشرون (كان حياً سنة 561 هـ / 1166 م): "حاذق زمانه وسابق ميدانه" (الأصبهاني، 1986، صفحة 260) وكان مولده بـثغر سبتة الواقعة شمال المغرب الأقصى سنة (493 هـ / 1099 م) (الدفاع، 1993، صفحة 152)، ومنها كانت انطلاقته إلى بلدان المغرب حيث نشأته الأولى بها بحثاً عن العلم والمعرفة هناك (الإدريسي، 1409، صفحة 1)، لينتقل بعدها إلى الأندلس أين مكث في مدينة قرطبة ونهل منها علوماً كثيرة (بالنشا، 1955، صفحة 314)، ويرجح المؤرخون أنه توفي في صقلية سنة (530 هـ / 1136 م) (الدفاع، 1993، صفحة 152).

2. 2. رحلاته:

كان الإدريسي شغوفاً بالعلم محباً للاستكشاف والمغامرة، جعله هذا يقوم بعدة رحلات إلى الأندلس ومن ثم رحلته إلى بلاد المشرق سنة (510 هـ / 1116 م) (الإدريسي، 1409، صفحة 1) و لم يتجاوز سنه آنذاك السادسة عشرة (كراتشكوفسكي، 1963، صفحة 280)، كما قام برحلات أخرى في أوربا فزار لشبونة وسواحل فرنسا وبعض مدنها، بل وصل إلى تخوم الجزر البريطانية، كما زار بلاد المغرب وقصد مصر (حميدة، 1980، صفحة 316)، ليعود بعدها إلى سبتة، ثم ساقط الإدريسي مغامرات كثيرة إلى بلاط ملك صقلية، روجر الثاني Ruggero II (487-549 / 1095-1154 م) (راجع التعليق رقم 01)، بعد أن استولى النورمان عليها بـ زمن قصير (غوستاف، 2016، صفحة 485)، وكان ذلك ما بين سنتي (524-534 هـ / 1130-1140 م) أين استقر بها وأصبح من مقربي ملكها النورماني روجار الثاني مع العديد من العلماء المسلمين الذين اكتسبوا الحضوة عند هذا الملك، وقد لقي الإدريسي حفاوة كبيرة من روجار ما جعله يثني عليه في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق في موضع كثيرة (سعيدوني، 1999، صفحة 68)، منها قوله: "فإن أفضل ما عني به الناظر واستعمل فيه الأفكار والخواطر ما سبق (إليه) الملك المعظم رجار المعترف بالله المقتدر بقدرته ملك صقلية... إذ هو خير من ملك الروم بسطاً وقبضاً... ثم جمع إلى كرم الأخلاق طيب الأعراق وإلى جميل الأفعال حسن الخلال..." (الإدريسي أ، 2006، صفحة 4).

ولما كانت سنة (548 هـ / 1154 م) ألف الإدريسي كتابه الجغرافة العظيم، مشتملاً على ما قيده المتقدمون في علم الجغرافة، وعلى ما رواه عن السياح من المعارف الكثيرة، وعلى عدة خرائط؛ فاقتصررت أوروبا على نسخته بدناءة مدة ثلاثة قرون (غوستاف، 2016، صفحة 485)، فلم يشر الأوروبيون إلى أهمية هذا الكتاب ومدى اعتمادهم في تأليف كتبهم ودوره في كشوفاتهم الجغرافية ومعرفة طبائع الناس وأحوالهم في زمن المؤلف وغيرها من الأمور مما كتب الإدريسي فيها وأجاد.

عرف المغرب الإسلامي في القرن السادس حركة تجارية واسعة سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، خاصة بعد تولي الموحدين (515-668 هـ / 1121-1269 م) زمام الأمور في البلاد وتوحيدها تحت رايته فاستتب الأمن ونشطت التجارة بعد خمول بسبب الفتن والتشتت الذي أصاب بلاد المغرب، فعادت الأسواق المغاربية إلى الحياة ونشطت الطرق التجارية المؤدية إليها من جديد، بيد أن أصبحت هاته الأسواق هي العصب الذي يقوم عليه الاقتصاد في البلاد.

زامن هذه الحركة التجارية الواسعة في القرن السادس كثرة الرحالة والجغرافيين الذين جابوا البلاد ووصفوا الأبعاد وحال العباد، وتطرقوا إلى حال الأسواق المغاربية ونشاطها التجاري وتباينها من منطقة إلى أخرى، وذكرها كلاً يتعلق بها من زمان ومكان وإقامتها وحال تجراها والسلع الرائجة فيها ونوعية المعاملات السائدة فيها، ومن أشهرهم الرحالة الجغرافي الإدريسي الذي ألف كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وهو في صقلية معتمداً على رحلاته وما رآه مع الاستفادة من كتابات سابقه ومعاونيه الذين أرسلهم روجار إلى باقي أقطار العالم للاستكشاف ومد الإدريسي بمعلومات عن البلدان التي لم يزرها.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على حال أسواق وزمن ومكان إقامتها وأسمائها وكل ما يتعلق بها في بلاد المغرب الإسلامي وهذا من خلال ما أورده الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ويكتسي هذا الموضوع أهمية كبيرة في فترة الدراسة التي عايشها الإدريسي وعابنها وكتب عنها مشاهدة أو سماعاً أو نقلاً عن غيره، إضافة إلى أن هذه الفترة شهدت تحولات سياسية كبيرة كانت لها آثار كبيرة على الأسواق المغاربية من أهمها الهجرة الهلالية والصراعات القائمة بين الزيريين وبني عمومته الحماديين، إضافة إلى التحركات النورماندية وختاماً بتوحيد بلاد المغرب تحت راية الموحدين.

انطلاقاً من الدور الذي لعبه الرحالة الإدريسي في توثيق جوانب الحياة في المغرب الإسلامي، يمكننا أن نتساءل عن مدى دقة وصفه للأسواق المغاربية؟ وإلى أي مدى كشف لنا الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق عن حقيقة الأسواق ونشاطها التجاري في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري؟

2. الشريف الإدريسي:

1.2 نسبه ومولده:

هو محمد بن محمد ابن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن أبي طالب الشريف الإدريسي، إدريس بن يحيى (الصفدي، 2000، صفحة 138)، لقب بالحسني الطالب الشريف (سوسة، 1974، صفحة 273)، ويرجع سبب تسميته بالشريف الإدريسي كونه ينتمي إلى الأدارسة

2. 3. مؤلفاته:

استطاع الإدريسي أن يتم كتابه هذا في شهر شوال (548هـ/1154م) وذلك بعد خمسة عشر سنة من البحث (الشكري، د. ت، صفحة 245)، قبل أن يموت روجار الثاني بعدة شهور، كما قام بكتابة ملخص له باللغة اللاتينية، وقد جاء كتاب نزهة المشتاق على صورة معجم جغرافي يتضمن في طياته سبعين خريطة إقليمية تشرح مجسم الأرض الكروي على هيئة قرص عظيم تم صنعه من الفضة الخالصة، وتم نقش عليه سبعة أقاليم بأقطارها ومعالمها، وكل إقليم مقسم إلى عشرة أجزاء مرتبة من الغرب إلى الشرق ابتداء من الجزر الخالدات "كناري"، كما تطرق إلى خصائص هذه الأقاليم وبحارها وخلجانها، مع وصف سطح الأرض حسب أقسامه السبعة (سعيدوني، 1999، صفحة 70).

اعتمد الشريف الإدريسي في نزهة المشتاق على مشاهداته الشخصية والأوراق الرسمية التي كانت بحوزته وتقارير المبعوثين من طرف الملك روجار لجمع المعلومات من بعض البلدان، كما رجع إلى العديد من كتب المسالك والبلدان المتوفرة لديه، فاعتمد على كتاب العجائب للمسعودي وكتاب أبي نصر سعيد الجيهاني (375هـ/985م) وكتاب أبي القاسم عبيد الله بن خرداذبة (300هـ/913م) وكتاب أحمد بن عمر العذري (478هـ/1085م) وكتاب أبي القاسم محمد الحوقلي البغدادى (367هـ/977م) وكتاب خاناخ بن خاقان الكيماكي وكتاب موسى بن قاسم القردي وكتاب أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي (284هـ/897م) وكتاب إسحاق بن الحسن المنجم وكتاب قدامة البصري وكتاب بطليموس الأقلودي وكتاب أرسىوس الأنطاكي (الإدريسي، أ، 2006، الصفحات 5-6) (مؤنس، 1986، صفحة 197) وغيرها ممن ساعدتها في تأليف هذا الكتاب بصورته التي هو عليها الآن،

ومع تكرار الإدريسي لما جاء ممن سبقوه، إلا أنه يناقش وينتقد بعض المعلومات التي يشك فيها ولا يثبت إلا ما صح لديه، وكثيرا ما أورد بعض العبارات الدالة على ذلك، كقوله: "ما اتصل بنا علمه وصحت الأخبار عنه" (الإدريسي، أ، 2006، صفحة 9) أو "فأما أرسطو طاليس وأرشيبيدس فإنهما قالا في المد والجزر، وهذا كلام يحتاج إلى الزيادة فيه والبيان" (الإدريسي، أ، 2006، صفحة 93) (حناوي، 1993، صفحة 59) أو عبارة "إن هذا الجزء العاشر من الإقليم الرابع ... ثم نذكر الإقليم الخامس على تواليه ونريد أن نذكر ما في هذا الجزء على التقصي مثل ما سبق لنا في سائر الأجزاء السالفة من هذا الكتاب." (الإدريسي، أ، 2006، صفحة 718)، وكل هذه العبارات دالة على تحري الإدريسي أثناء نقله الأخبار وتدوينها في كتابه.

تباينت أبحاث الادريسي من حيث القيمة الجغرافية والدقة العلمية في كتابه من إقليم لآخر، وهذا يعود لاختلاف مصادر تلقيه وتنوع مراجعه، إذ عبر بدقة كبيرة عن المناطق التي زارها وشاهدها بنفسه كبلاد المغرب والأندلس وصقلية، أما المناطق

اشتهر الشريف الإدريسي بكتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " في علم الجغرافيا، وظهر هذا الكتاب في عنوان آخر تحت اسم " نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق (حسن، 1971، صفحة 13)، كما عرف "بكتاب روجار" (سيبوليد، 1933، صفحة 547)، إلا أنه كان ميالا لعلوم أخرى كعلوم الصيدلة والنبات وغيرها وألف مؤلفات عدة منها " روض الأنس ونزهة النفس " وكتاب " روض الفرج ونزهة المهج" (حسن، 1971، صفحة 13)، وله كتاب " جامع الصفات لأشتات النبات" الذي أحصى فيه العديد من النباتات مبرزا خصائصها الفلاحية وفوائدها الصحية، كما له كتاب "الأدوية المفردة" ومن عنوانه يظهر أنه كتاب ألف في علم الصيدلة (سعيدوني، 1999، صفحة 69)، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ / 1270م) أن الادريسي كان عالما بأصناف الأدوية المفردة ومنافعها ومناباتها وأعيانها (ابن أبي أصيبعة، 1965، صفحة 501)، وكتب أيضا كتابا أسماه "سعادة الرجال وغبطة النفوس"، وقام بتقديم كتاب لوليم الأول ابن روجار تحت اسم "المسالك والممالك" ومله في طي المفقود إلا بعض الوريقات الموجودة في مكتبة اسطانبول، وجل كتبه الواردة سلفا مفقودة أو وردت مقتطفات منها في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (سعيدوني، 1999، صفحة 69).

يرى الكثير من المؤرخين أن أفضلية الإدريسي على بقية الجغرافيين العرب تعود إلى ما حصل عليه من الرواد والمستكشفين الذين أرسلهم روجر إلى أقاصي الأصقاع، إضافة إلى احتكاكه بالرحالة والتجار والحجاج ممن قصد صقلية ورسا في موانئها وتقييد أحاديثهم ومغامراتهم ومشاهداتهم في رحلاتهم، إلى جانب ما استطاع الحصول عليه من بيانات عن البلدان النصرانية بفضل رعاية الملك رجار النصراني، وما جمعه من سابقه كبطليموس والمسعودي (ت 346هـ/957م) (حميدة، 1980، صفحة 389).

والناظر لهاته المؤلفات الجمّة في الكثير من العلوم المختلفة والمتباينة يرى مدى علم هذا الرجل وموسوعيته واهتمامه بالعلوم النقلية والعقلية على السواء، وشغفه بالتأليف والكتابة، فكان عالما في الصيدلة والفلاحة والأدب والجغرافيا وغيرها من العلوم التي جعلت له وزنا بين أقرانه في الزمن الذي عاش فيه.

2. 4. كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:

اشتهر الإدريسي بكتابه الجغرافي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق شهرة واسعة، بعد أن ألفه بتشجيع من روجار الثاني النورماندي ملك صقلية، حتى أنه نسب إلى هذا الأخير فسمي بالكتاب الروجاري، كما له عدة تسميات أخرى كالجغرافية الكلية أو صورة الأرض، وكان ثمرة سنين من التجوال والبحث والتنقيب مع مساعدة الرحالة الذين أرسلهم روجار إلى كافة الأقطار للمساعدة في إثراء محتوى هذا الكتاب (سعيدوني، 1999، صفحة 69).

وللسوق أهمية كبيرة إذ كانت المدن الإسلامية لا تبني إلا وفيها ثلاث أركان رئيسية هي الحصن والمسجد الجامع والسوق، ولا تزال السوق في أذهان عدد كبير من الناس هو مركز جميع النشاطات في المدينة، وقد ارتبطت الأسواق في المدينة الإسلامية بالمسجد الجامع، فكان المسجد الجامع يبنى في مركز المدينة، والأسواق التي تعد كمركز لمعيشة الناس فتبنى في جوار المسجد الجامع (مجموعة من المؤلفين، 2012، صفحة 22).

4. أنواع الأسواق المنتشرة في المغرب الإسلامي عند الإدريسي:

عرف المغرب الإسلامي في القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي عددا من الأسواق التي لم تكن مختلفة عما سبقها من القرون في الفترة الإسلامية، بسبب ارتباط الأسواق بإنشاء المدن، إذ يرى المستشرق الفرنسي ماسينيون أن: "المدينة الإسلامية قائمة من حيث الأساس على فكرة السوق، وأن حيوية المدينة تعتمد على الهيئات المهنية" (ماسينيون، 1973، صفحة 12) وهذا باعتبار السوق هو المحرك الرئيسي لاقتصاد المدينة فيه يتجمع التجار لعرض سلعهم ويشترى منه ساكني المدينة ويبيع الحرفيون والصناع منتجاتهم فيه، ويستقطب السوق التجار من خارج المدينة مما يجعل في المدينة حيوية وحركة تساهم في ازدهارها وتطورها، وتتنوع الأسواق في المدينة فنجد مثلا الأسواق اليومية والأسواق الأسبوعية والأسواق الموسمية، وكل سوق له خصائصه ومميزاته.

4. 1. الأسواق الدائمة:

الأسواق الدائمة هي تلك الأسواق الثابتة التي لا تكّد تخلو منها أي مدينة في المغرب الإسلامي، وكانت منتشرة في المدن الكبرى، وبعض القرى والحصون، ولم يشر الإدريسي كثيرا إلى هذه النوعية من الأسواق إلا في محطات قليلة، ويكون موقع الأسواق عادة داخل المدن أو مجاورة لها (حركات، 1996، صفحة 127)، ويكون موقعها على حسب السلع التي تمتن بيعها

فنجده مثلا يتحدث عن مدينة مراكش عاصمة المرابطين بقوله: "أما عاصمة المرابطين ودار ملكهم مراكش فأسواقها مختلفة وسلعها نافقة، ففيها سوق الدخان والصابون والصفر والمغازل وغيرها وكل ما فيها يباع دق أمره أو جلّه" (الإدريسي أ، 2006، الصفحات 234-235)، وفي هذه إشارة لوجود أسواق دائمة بمراكش وهي أسواق متخصصة بنوع واحد من المنتجات والصنائع، وهذا مما كان يعرف في هذه الفترة من تخصص الأسواق بنوع واحد من المنتجات.

فبعد تجديد بيعة المنصور الموحي (راجع التعليق رقم 03) زاد النشاط التجاري لمدينة مراكش، إذ زادت المخازن ونمت الأرزاق، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الراححة، وبذلك كسب الناس مالا كثيرا (ابن صاحب الصلاة، 1964، صفحة 347)، واستمر نمو النشاط الاقتصادي بالمدينة وذلك انطلاقا من قول ابن عذاري المراكشي بأن المدينة صارت أوسع البلاد

التي مر عليها مستعجلا أو عرفها من بعيد، فكان وصفها أقل دقة، أما المناطق التي لم يزرها فقد اعتمد في وصفه إياها على من سبقوه إما نقلا حرفيا أو اثبات رواية أو عرض حكاية أو تسجيل خبر، لذلك وقع في العديد من الأخطاء الجغرافية مثل قوله أن سواحل إفريقيا الشرقية تمتد إلى الشرق لتلتقي بالهند مما يجعل المحيط الهندي بحرا مغلقا مثل البحر المتوسط (سعيدوني، 1999، الصفحات 70-71).

وعمل الإدريسي في كتابه هذا على وصف كل ما رآه أو سمعه أو نقل إليه بداية من وصف المدن وعمارتها والطرق والمسالك التجارية، إضافة إلى الأسواق والسلع المتبادلة فيها، وأهم المزروعات والمياه ومصادرها، كما تطرق إلى العناصر البشرية من بربر وغيرهم وأماكن عيشهم وعاداتهم وتقاليدهم وحرفهم وصنائعهم وباقي نشاطاتهم (جليل، د. ت، صفحة 87).

يعتبر كتاب نزهة المشتاق من أمهات الموسوعات الجغرافية الوصفية في العصور الوسطى لما تضمنه من تعريفات ومصطلحات وما اشتمل عليه من أعلام وأماكن، وقد اعتمد عليه العديد من الجغرافيين المتأخرين مثل الحسن الوزان الأسد الإفريقي ت(957هـ/1550م)، وابن سعيد المغربي ت(685هـ/1286م) وأبو الفداء ت(732هـ/1331م)، وفضل الله العمري ت(749هـ/1349م)، كما رجع الملاحون والمكتشفون في القرن الخامس والسادس عشر، وقد كانت خارطة الإدريسي للأرض أساس المصورات الجغرافية الحديثة، لتصبح منطلقا لتطوير الخرائط وقد استرشد بها الجغرافيين البندقي مارينو سانوتو (669 Marino Sanuto 744-1270هـ/1343) (راجع التعليق رقم 02) في رسم معظم خرائطه المتميزة في عصره. (سعيدوني، 1999، صفحة 71)

3. السوق المصطلح والدلالة:

السوق في لغة العرب هي موضع البياعات، التي يتعامل فيها، وهي تذكر وتؤنث، وجمعها أسواق، ويقال تسوق القوم، أي باعوا واشتروا، وقيل سميت سوقا من سوق الناس إليها (ابن منظور، 1968، الصفحات 167-168)، وعرفها يحيى ابن عمر بأنها "الموضع الذي يجلب إليه المتاع والسلع للبيع والابتاع" (بن عمر، د. ت، صفحة 5)، أو هي الأمكنة التي تتجمع فيها السلع والبضائع المختلفة ويتم فيها النشاط التجاري الداخلي والخارجي، إضافة إلى الإنتاج الصناعي الذي كان يشغل حيزا مهما بداخلها، وكلما كثرت الحرف في مدينة ما كان ذلك دليلا على سعة نشاطها التجاري (بلهاري، 2010، صفحة 80).

وفي الأسواق حيث التجار والصناع، يتم النشاط التجاري، فهذه الأسواق أقيمت في المجتمعات التي تمتن التجارة وتتعاوى البيع والشراء، وكما هو معلوم فإن الأسواق قد تكون مستقرة في موضع واحد على مدى أيام السنة، وقد تقوم أسواق أخرى في أزمات ومواقع محددة، وتدعى بالأسواق الموسمية التي لها أيام ومواسم محدودة تقوم وتنشط فيها (الكبيسي، 1989، صفحة 13).

فقد تزدهر أسواق وتختفي أخرى أما الجانب المكاني فتتحكم في السوق الأسبوعي التضاريس وتوفر الطرق والمسالك وسهولة التنقل (عمبروش، 2019-2020، صفحة 87).

عرج الإدريسي في كتابه على العديد من الأسواق الأسبوعية التي تقام في يوم معلوم لدى الناس، فذكر سوق بني زندوي (راجع التعليق رقم 06) وهو حصن في بسيط قليل الحصانة، ويقام هذا السوق في يوم الجمعة يقصده سكان تلك الناحية القريبة من الحصن (الإدريسي أ، 2006، صفحة 261)، كما ذكر سوق الأحد الواقع على الطريق الرابط بين مدينة بجاية والقلعة، وهي قرية مشهورة بسوقها الأسبوعي المقام بيوم الأحد (الإدريسي أ، 2006، صفحة 262)، كما لحسن كزناية الأزلي الواقع على نهر شلف عدة أسواق، أشهرها السوق الأسبوعي الذي يقام يوم الجمعة، فقد قال عنه الإدريسي أنه سوق يأتيه خلق كثير (الإدريسي أ، 2006، صفحة 253)، وجميع هاته الأسواق تسمى باسم اليوم الذي التقام فيه؛ كسوق الأحد وسوق الإثنين وسوق الخميس والجمعة.

وعند الحديث عن الأسواق الأسبوعية التي ذكرها الإدريسي نجده أحيانا يشير على إحداها لكن لا يذكر اليوم الذي تقام فيه بل يفهم من قوله أنه سوق أسبوعي، وهذا مثل ما تطرق إليه عند حديثه عن مدينة غزة (راجع التعليق رقم 05) التي قال بأنها مدينة على صغرها إلا أن بها سوقا مشهورة تقام في يوم معلوم (الإدريسي أ، 2006، صفحة 251).

كما بجوار حصن كزناية إحدى القرى الصغيرة المسماة قرية ريغة (راجع التعليق رقم 07) ذات الأراضي الواسعة، وهي مشهورة أيضا بسوق يقام في يوم الجمعة، كما الأمر نفسه بالنسبة لحصن أشير زيري الذي به سوق أسبوعي بيوم معلوم "يجلب إليه كل لطيفة وبيع به كل طريفة" (الإدريسي أ، 2006، صفحة 254). وبطبيعة الحال يتجمع التجار في هذا اليوم المعروف عندهم في زمان ومكان معروفين لعرض سلعهم وبيعها أو شراء بعض المنتجات وبيعها في سوق أخرى أو الاستفادة منها في حياتهم اليومية، والظاهر أن من يقصد هذه الأسواق هم أهل الأرياف المجاورة للقرى والمدن التي تقام فيها هذه الأسواق.

لقد برزت في المغرب الأقصى أيضا العديد من الأسواق الأسبوعية، على غرار السوق القديمة الواقعة شمال قصر أبي موسى بأرض قبائل مكناسة، وهذا السوق كبير ومعروف يقام كل يوم خميس، وتقصده جميع القبائل المكناسية من قريب أو بعيد للبيع أو الشراء والتبضع (الإدريسي أ، 2006، صفحة 243)، ومن هاته القبائل المجاورة نذكر على سبيل المثال بنو سعيد وبنو موسى، أما غير القبائل المكناسية القريبة فيوجد بنو يسيل ومغيلة وبنو مصمود وبنو علي ورياغل ودمرو وأوربة وسبغاوة (ابن زيدان، 2008، صفحة 87)، وتعد هذه القبائل القريبة من السوق وكثرتها يدل على حجم النشاط التجاري لهذا السوق، فكل قبيلة تقصده إلا ولها سلعة تبيعها أو تشتريها، خاصة وأن

معاشا وأكثرها خلقا وأرباحها تجارة (المراكشي، 1985، صفحة 153)، فازدهرت أسواقها وعمرت بالباعة والمشتريين وهذا ما أكده الإدريسي فيما ذكرناه سابقا عن المدينة.

أورد الإدريسي في كتابه أن بحصن تاكلات (راجع التعليق رقم 04) بالمغرب الأوسط سوقا دائمة (الإدريسي أ، 2006، صفحة 261)، كما تحدث عن مدينة قابس بالمغرب الأدنى المشهورة بالأسواق الواسعة، خاصة سوق الحرير المختص بتجارة الأقمشة الحريرية (الإدريسي أ، 2006، صفحة 276)، والأسواق المختصة بنوع محدد من السلع غالبيتها هي أسواق دائمة، إضافة لمدينة بنزرت ذات الأسواق القائمة بذاتها، أي دائمة وغير متحولة تستقطب الباعة والمشتريين طيلة أيام الأسبوع، ومدينة سوسة فهي مدينة أزلية بها سوق وهي عامرة معروفة بكثرة متاجرها وحماماتها وفنادقها، مشهورة بالثياب والعمائم السوسية (الإدريسي أ، 2006، صفحة 303)، فهي مدينة مشهورة بحرفة النسيج، فالثياب السوسية لا يوجد لها نظير، مخصوصة بكثرة الأمتعة والثياب الرقاق، ثم أن العمائم التي تعمل بها تنقل إلى جميع البلاد شرقا وغربا، فالعمامة منها تساوي مئة دينار أو تزيد (مؤلف مجهول، 1986، صفحة 119)، وهنا لفتة جليلة حول ارتباط الأسواق بالفنادق والحمامات، حيث إن القائمين على السلطة دائما ما يوفرن أماكن الراحة والاستجمام للتجار القادمين من بعيد، حتى يتسنى لهم أعمالهم التجارية بكل أريحية، فتصبح هاته الأسواق تستقطب خيرة التجار بفضل الملحقات الموجودة بجانب الأسواق، والتي أصبحت لا تخلوا أي مدينة تجارية منها.

4. 2. الأسواق المؤقتة أو الأسبوعية:

تعد الأسواق المؤقتة أو الأسبوعية هي تلك الأسواق التي تقام في أيام معلومة من الأسبوع أو الشهر، ويعود سبب إقامتها إلى حاجة سكان القرى والمناطق الريفية البعيدة عن مركز المدينة للتبضع وكذا بيع منتجاتهم الزراعية أو بعض ما يصنعون من حرفهم التي يتقنونها (الخزاعي، 2010، صفحة 49)، وهي عادة ما تكون أكبر وأوسع من الأسواق الدائمة، والسلع فيها متنوعة كونها تقام مرة في الأسبوع ويأتيها الناس والتجار للبيع أو الشراء من كل مكان.

ويمثل السوق الأسبوعي في المغرب الإسلامي مناسبة متكررة في كل أسبوع، تدور حول محورين أساسيين هما الزمان الذي يتحكم فيه عدد المترددين إليه، فكلما زاد عدد المترددين زاد العرض والطلب على السلع، وبذلك تزيد احتياجاتهم مما يدفعهم إلى طلب إقامة السوق مرتان أو أكثر في الأسبوع، كما يعود ارتباط السوق الأسبوعي بيوم معين لأسباب عدة؛ منها زيادة فرص التحاق سكان القرى المجاورة والبعيدة في اليوم المعلوم من إقامة السوق، إضافة إلى عنصر الأمن الذي يعد العنصر الأساسي في إقامة السوق من عدمه، فقد يؤدي عدم الاستقرار وانتشار ظواهر السرقة والحراقة إلى تغيير المسالك والطرق التجارية، وبذلك ينعكس على نشاط السوق،

السوق أسبوعية تمكنهم من القدوم والمتاجرة.

5. آثار الهجرة الهلالية على أسواق المغرب الإسلامي:

لقد تأثرت الحياة الاقتصادية في المغرب الإسلامي بالتفاعلات السياسية والعسكرية بزيادة عمليات النهب والسلب، وقطع الطرق وشن الغارات، حتى عم الخوف في المسالك وازدادت خيفة المسافرين (خلفات، 2020، صفحة 132)، وكان للهجرة الهلالية لبلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري الأثر الكبير في تغيير الخارطة الاقتصادية لبلاد المغرب، خاصة المغرب الأدنى والأوسط، فقد أدت الفوضى التي نشرها بنو هلال إلى تغيير كبير في شبكة الطرق التجارية الرابطة بين المراكز التجارية الكبرى والصغرى على سواء، وبالتالي تأثر الأسواق الموجودة بهذه المراكز.

وهذا ما نراه في إشارات كثيرة من الإدريسي حول مخلفات هاته القبائل العربية، فها هو يصف حال أسواق مدينة باغاي بقوله: "فالأسواق في المدينة والأرباض خالية بإفساد العرب لها" (الإدريسي أ، 2006، صفحة 276)، وهذا يوضح بشكل بارز الدور الذي لعبته القبائل الهلالية في تعطيل الحركة التجارية في بعض الأسواق، وهروب التجار منها خوفاً على أنفسهم وعلى سلعهم من الهلاليين، فاكثفوا بالتجارة في الأسواق المحصنة البعيدة عن أعين بني هلال وأحلافهم.

والأمر نفسه بالنسبة لمدينة برقة التي كسدت أسواقها، وانفض عنها تجارها (الإدريسي أ، 2006، صفحة 310)، كما كان حمى الجهة الغربية من مدينة زويلة مشهور بأنواع الثمار والبساتين، ولكن لم يبق منه شيء الآن بسبب إفساد العرب لها (الإدريسي أ، 2006، صفحة 283)، إضافة إلى ما ذكره الإدريسي عن مدينة طرابلس في قوله: "ومدينة طرابلس ... بيضاء حسنة الشوارع متقنة الأسواق وبها صناع وأمتعة يتجهز بها إلى كثير من الجهات وكانت قبل هذا مفضلة العمارات من جميع جهاتها كثيرة شجر الزيتون والتين وبها فواكه جمّة ونخل إلا أن العرب أضرت بها وبما حولها من ذلك وأجلت أهلها وأفقرت بواديها وغيّرت أحوالها وأبادت أشجارها وأغورت مياهها واستفتحتها الملك رجار في سنة أربعين وخمس مائة فسبى حرماً وأفنى رجالها وهي الآن له في طاعته ومعدودة في جملة بلاده" (الإدريسي أ، 2006، صفحة 297).

وهنا يشير الإدريسي إلى مدى الخراب الذي لحق بهذه المدينة بعد دخول الهلاليين إليها، ولكن هذا الخراب شارك فيه أيضاً حاكم صقلية روجار، فقد أفسد بها كثيراً وهي لا تزال على هيئتها في خرابها تابعة له، وهذا في زمن الإدريسي، وهنا يمكن أن نقول أن التأثيرات الاقتصادية على مدن بلاد المغرب خاصة الشرقية منها لم تشارك فيه أعراب بني هلال فقط، بل ساهم النورمانديين فيها بشكل كبير أيضاً، وهذا يبرز مدى تأثير عدم الاستقرار في الحياة الاقتصادية في المغرب الإسلامي.

وبالرغم من كل هذه الآثار السيئة لهجرة بني هلال التي ذكرها الإدريسي في الكثير من مناطق البلاد المغرب الإسلامي،

وخلاصة القول أن الأسواق الأسبوعية عادة ما تقام في القرى والأرياف حتى يتمكن أهالي القرى المجاورة ممن القدوم والاتجار، ثم أن هذه الأسواق غالباً ما تسمى على حسب اليوم الذي تقام فيه وربما لا تشتهر القرية أو المدينة إلا بالسوق الذي يقام فيها.

4. 3. أسواق الحصون:

يعدد لنا الإدريسي في كتابه إلى نوع خاص من الأسواق التي اشتهرت في القرن السادس هجري، وهي تلك الأسواق التي كانت تقام في القرى والمدن المحصنة، وغالباً ما تكون مؤقتة (أسبوعية)، ويعود سبب إقامتها في هذه الحصون أو بالقرب منها هو انعدام الأمن وتربص أعراب بني هلال (راجع التعليق رقم 6) بحصونهم، وخوفهم من غاراتهم وسطوتهم، فعند حديث الإدريسي عن الطريق الرابط بين مدينة بجاية وقلعة بني حماد يعدد بعض الأسواق التي تقام في الحصون المنيعة، فيشير إلى حصن سوق الخميس الموجود بأعلى الجبل، ويقام بهذا الحصن سوق في يوم الخميس من كل أسبوع، والعرب الهلالية متربصة به لكنها لا تقدر على الوصول إليه لحصانته (الإدريسي أ، 2006، صفحة 262)، إضافة إلى سوق الاثنين على نفس الطريق، وهذا السوق دائماً ما تكون العرب متربصة به لذلك يجعل حراس ومراقبين على الحصن لتتبع تحركات العرب والتجهز لهم في حال ما أغاروا عليهم (الإدريسي أ، 2006، صفحة 263)، إضافة إلى سوق بني زندوي الذي ذكرناه من قبل، وهو سوق يقام في حصن نظراً لكون القبائل المشرقة عليه لها خلافات كثيرة وهي متناحرة فيما بينها، وهي إلى ذلك لا تسدد ما عليها من جبايات إلا بحد السيف، ورجالها وصغارها دائماً ما يكونون على استعداد للحرب، فلا يتحرك أحد منهم إلا وهو متوشحاً سيفه وحاملاً لرمحه والدرق اللمطية (الإدريسي أ، 2006، صفحة 268).

تعد معظم أسواق الحصون أسواقاً صغيرة الحجم تضم نسبة قليلة من التبادل التجاري ينشطه سكان الحصن أو القبيلة أو القبائل المحيطة بالحصن (عميروش، 2019، 2020، صفحة 89)، وغالباً ما تكون هذه الأسواق أسبوعية حتى يتسنى لسكان القرى والقبائل القريبة القدوم إليها، إضافة إلى صغر هذه المدن المحصنة جعل الموارد التي في الحصن لا تلبي حاجيات السكان، فيعتمدون على ما يجلب إليهم في كل أسبوع.

4. 4. الأسواق المتحولة:

لا تتضمن كتابات الإدريسي إشارات واضحة وكثيرة حول الأسواق المتحولة في القرن السادس الهجري، باستثناء وصفه لمدينة سفاقس، حيث قال: "ومدينة سفاقس مدينة قديمة عامرة لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة ... وأسواقها متحركة" (الإدريسي أ، 2006، صفحة 280)، والظاهر أن هذه الأسواق تتغير موضع إقامتها من مكان لآخر.

وترسو بمينائها الكبير المحصن، لتلك تجارتها نشطة وأهلها مياسير، وفيها من المنتجات الزراعية والحيوانية الكثير من العسل والزبد والبقر والغنم وهي رخيصة السعر بأسواقها لكثرتها (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 252)، ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لمدينة تيهرت فهي معروفة منذ القدم بتجارتها الواسعة، فجاء في الاستبصار أن بها سوقاً تحصنه قصبته منيعاً (مؤلف مجهول، 1986، صفحة 178)، ولها تجارات كثيرة وأسواقها عامرة، وهي مشهورة بإنتاج البراذين والخل والبقر والغنم بكثرة، إضافة إلى العسل والسمن (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 256)، لذلك أسواقها عامرة ونشطة، خاصة وأنها تتوسط الطريق التجاري الرابط بين تلمسان والمسيلى، فهي تعد إحدى المراكز التجارية الكبرى في المغرب الأوسط.

كما بمدينة مازونة سوق عامرة تقام في يوم معلوم لدى التجار من البربر، ويجلب إليها من الفواكه والسمن والعسل الشيء الكثير (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 272).

ولا يمكن ذكر المغرب الأوسط دون الإشارة إلى مدينة الجزائر بني مزغنة المشهورة بأسواقها القائمة، وهي معروفة بإنتاج العسل والسمن بكثرة، ويتجهز بهاتين المادتين إلى كل الأقطار القريبة والبعيدة، لذلك التجارة فيها مربحة لممارسيها (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 258)، ثم أن بسوق حص تاكلات الموجود على الطريق المار من بجاية إلى القلعة تجارة وافرة للحوم وهي رخيصة السعر لكثرتها كما أن به الفواكه كثيرة أيضاً (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 262)، وبمدينة نقاوس البساتين الكثير، وأشهر ما تنتجه فاكهة الجوز وهي تملأ أسواقها، ومنها يتجهز به إلى باقي المناطق المجاورة (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 264).

عند الانتقال المنطقة الشرقية من المغرب الأوسط تقابلنا مدينة قسنطينة التي قال عنها الإدريسي أن بها أسواق عامرة وهي كثيرة التجار وأهلها من أصحاب الأموال، ويتشارك العرب والبربر فيها في الزراعة والادخار، وهي كباقي مدن المغرب الأوسط تنتج العسل والسمن بكثرة، ولعلهما أهم منتوجين يباعان في أسواقها، حتى أنهما يحملان منها إلى سائر البلاد (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 265).

وقد أشار الإدريسي لمدينة نفيس التابعة لأغمام فقال أن فيها سوقاً نافقة، وهي مشهورة بأنواع الزبيب والخضر والفواكه من كل الأنواع (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 229). ولقد عرفت بلاد مكناسة بأسواقها العامرة (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 243)، وهي مشهورة بأشجار الزيتون حتى سميت بمكناسة الزيتون، وهي مدينة جلييلة وأسواقها حافلة (مؤلف مجهول، 1986، صفحة 287).

كما تشتهر أسواق مازونة ببيع الفواكه والألبان والسمن والعسل وهي مشهورة بإنتاج هذا الأخير، ومعروفة بإنتاج جل أنواع الفواكه (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 272) (الحميري، 1980، صفحة 252)، ومدينة نفيس بها سوق نافقة، وهي مشهورة

إلا أنه يذكر بعض المرات عكس ذلك، خاصة ما تطرق إليه في مدينة قسنطينة بالمغرب الأوسط أين تحدث عن تعاون العرب والبربر في الزراعة والحرث والادخار، لتصبح أسواق قسنطينة عامرة بالتجار والغلات، وأهلها مياسير من أصحاب الأموال الكثيرة (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 265)، لكن تبقى حالات شاذة مقارنة بما تم ذكره في باقي المدن.

وهذا يجعلنا أمام صورة واضحة حول آثار الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب على الحياة الاقتصادية بصورة خاصة، فكثرة الحروب والنزاعات في المنطقة وخوف الناس وهجرهم لقراهم ومدنهم جعل من الحركة التجارية في الأسواق تقل، وربما تنعدم في بعض المدن وهذا حال مدينة بغاية في المغرب الأدنى، لكن هذا ليس على الإطلاق وإنما توجد بعض الاستثناءات خاصة ما تم ذكره سابقاً عن قسنطينة وأحوال أسواقها.

6. النشاط التجاري داخل أسواق المغرب الإسلامي:

توجد العديد من المواضع التي أشار فيها الإدريسي عن أهم السلع والمنتجات الزراعية والصناعية (الحرفية) المتداولة في أسواق مدن المغرب الإسلامي، وسنقسم هاته السلع على حسب ما جاء به الإدريسي في كتابه:

6. 1. سلع زراعية وحيوانية:

يوجد بقفصة بالمغرب الأدنى أسواق عامرة، بهما من المتجر والصناعات الشيء الكثير، وهي مشهورة بإنتاج التمر بأنواع كثيرة، كما يوجد بها غلات الحناء والقطن، والكمون (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 278)، بيد أن مدينة قابس تعرف بإنتاج الزيتون، ويستخرج منه الزيت الذي ينقل منها إلى سائر البلاد بالمغرب الإسلامي (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 289)، دون أن ننسى رطبها الذي ليس بسائر البلاد مثله، وهذا يعود لطريقة جنيه من سكانها، ولا يعادله في الطيب وحلاوة مذاق تمر آخر (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 280)، ويشتهر الزيتون أيضاً بسفاقس وهو كثير، والزيت المستخرج منه ينقل على سائر البلاد (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 281)، ويبدو أنها مشهورة بذلك قبل القرن السادس، إذ يشير إلى ذلك البكري في القرن الخامس الهجري إلى المدينة بقوله: "وسفاقس في وسط غابة زيتون ومن زيتها يمتار أهل مصر وأهل المغرب وصقلية والروم، وربما بيع الزيت منها أربعين ريعاً قرطبية بمثقال واحد" وهذا يدل أن حالة المدينة الاقتصادية لم تتغير كثيراً بين القرنين الخامس والسادس هجري، (البكري، 1992، صفحة 269) وبينزرت يوجد السمك الكثير وهو رخيص السعر متعدد الأنواع، يصاد من بحيرتها المشهورة بها في شرقيها، وقد عدد الإدريسي أن بها اثنتا عشر نوع من السمك (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 288).

إضافة إلى أن مدينة وهران في المغرب الأوسط اشتهرت بنشاطها التجاري خاصة وأنها مدينة ساحلية مقابلة لمدينة المرية الأندلسية، فتأتي إليها السفن التجارية من الأندلس

بالمهدية عارة ببائعي الحرار وحوانيت خاصة بحرفيي الحرير، وأخرى تباع المادة الأولية المتمثل في حرير دودة القز إضافة لباقي النسيج المصنوع من الصوف.

ولقد اشتهر قصر سجة بالمغرب الأدنى ببيع الحرير، وهو مشهور، وممتلئ هذه الحرفة كثيرون (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 279)، أما سوسة فهي مدينة أزلية بها سوق وهي عامرة معروفة بكثرة متاجرها وحماماتها وفنادقها، مشهورة بالثياب والعائمات السوسية (القلقشندي، 1915، صفحة 103) (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 330) (المهلي، 2006، صفحة 49)، وفي حديث الإدريسي عن جبل درن بالمغرب الأقصى يشير إلى الدخانين الذين يقومون باستعمال زيت بذور شجر الأرقان لقلبي الإسفنج وإنارة قناديلهم (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 231).

عرج الإدريسي على مدينة وهران التي أسسها محمد بن أبي عون بن عبدون وجماعة من الأندلسيين سنة 290هـ/903م (المراكشي، 1985، صفحة 136)، وهي من أكبر حواضر المغرب الأوسط ووصف أسواقها بالأسواق العامرة والتجارات فيها نافقة وقال أن صناعاتها كثيرة، أما مدينة تاهرت فمعروفة منذ القدم بتجارتها الواسعة، فجاء في الاستبصار أن بها سوقا تحسنه قصبة منبوعة (مؤلف مجهول، 1986، صفحة 178)، ولها تجارات كثيرة وأسواقها عامرة، وهي مشهورة بإنتاج البراذين والخيول والبقر والغنم بكثرة (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 256)، ولجزائر بني مزغنة أسواقا قائمة وصناعات نافقة (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 259).

كما بمراكش أسواق خاصة بالصنائع والحرفيين كل سوق وتخصص المعروف كسوق الدخان والصابون والصفير والمغازل وكانت القبالة على كل شيء يباع دق أو جل كل شيء على قدره (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 235)..

إن أهم ما بينه لنا الإدريسي هو مدى اشتهار الحرف الصنائع بمدن المغرب الإسلامي، حتى لا تكذب مدينة إلا وهي مشهورة بحرفة من الحرف، وأسواقها مملوءة بمنتجاتها، حتى وجد الاختصاص في السوق، كل حرفة أو صنعة إلا ولها سوق خاص بها.

7. أوصاف التجار للأسواق:

تحدث الإدريسي عن تجار المغرب الإسلامي في شذرات من كتابه النزهة، خاصة تجار المدن التي كانت تعرف نشاطا تجاريا كبيرا، فعلى سبيل المثال ذكر أن بمدينة زويلة أسواق جميلة كعمرانها، وتجارها حالهم ميسور، يتصفون بنباهة شديدة وحذق كبير، وهم مشهورون بلبس البياض وحسن المعاملة، وهم أعرف الناس بالتجارات (القلقشندي، 1915، صفحة 103) (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 330) (المهلي، 2006، صفحة 49)، وأهلها تجار مياسير نبلاء ذوو أذهان ثاقبة وأفهام ذكية وجل لباسهم البياض ولهم همم في أنفسهم وملابسهم وفيهم الجمال ولهم معرفة زائدة في التجارات وطريقتهم

بالزبيب ذو المنظر الجميل والمذاق الحلو وكبر الحجم، وصيته مداع في قطر المغرب الأقصى (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 229)، كما أن بجبل درن بالمغرب الأقصى يباع السفرجل والرمان الحمل منه بغيراط، كما به الأترج والقصب الحلو بكثرة حتى أنه لا يباع فيما بينهم ولا يشترونه إلا من كان خارج الجبل، إضافة إلى الزبيب المتخذ من العنب المستطيل العسلي الذي ينتقل إليه ملوك المغرب لشرائه بسبب رقيقته وقشرته وعذوبته طعمه (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 230).

ولا يمكن الحديث عن مدن المغرب الأقصى ونشاطها التجاري دون الإشارة إلى مدينة مراكش عاصمة المرابطين ذات الأسواق المختلفة، ويبيع بها الجراد كل يوم ثلاثون حملا بسبب أكل أهلها له (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 235)، كما بمدينة سلا الحديثة أسواق نافقة يأتيها تجار الأندلس بمختلف البضائع، خاصة الزيت الذي يأتي به تجار إشبيلية، وفي المقابل يتجهزون منها بأنواع الأطعمة إلى سائر بلاد الأندلس لكثرتها ورخص أسعارها (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 239)، لذلك أهلها ذوي سعة مالية وهم يعيشون في رغد من العيش.

ومما يمكن استخراجه من إشارات الإدريسي حول أهم السلع النباتية والحيوانية المنتجة والمتداولة في الأسواق هو أن هذه السلع يحددها الموقع الجغرافي والمناخ، في بعض المناطق مشهورة بإنتاج التمر وبيعه ولا سيما المدن الواقعة بجنوب المغرب الإسلامي، إضافة إلى الحمضيات والزيتون ومشتقاته والحيوانات وما يستخرج منها من لحوم وجلود وغيرها.

6. 2. سلع صناعية:

عندما نتحدث عن السلع الصناعية فنشير من خلالها إلى تلك السلع التي حوّلت من مادتها الخام إلى شيء قابل للاستخدام، سواء كانت هذه المادة الأولية معدنية أو زراعية أو حيوانية، حيث يشتهر سكان مدينة شروس بجبل نفوسة بصناعة الخبز حيث فاقوا كل الناس في جودته حسن مذاقه (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 279)، وبمدينة قابس طرز يعمل بها الحرير الحسن، كما أنها مشهورة بمدايع وتجارة الجلود، ومنها تنقل هذه السلعة إلى باقي المناطق، إضافة إلى مدينة قصر سجة، التي تعتبر مدينة متحضرة برغم صغرها، وبها حريرون كثيرون (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 279)، وهذا يدل على أن أسواقها نشطة بتجارة الحرير بأنواعه، لكثرة العاملين به من الحرفيين والصناع.

كما يعمل بالمهدية بالمغرب الأدنى الثياب الدقيقة حسنة الصنع، وهي تنسب إليها، لا يعمل مثلها في سائر البلاد إلى بها، ومنها يحمل إلى سائر الأقطار في كل وقت وحين، فالسفن تأتي إليها من كل حذب وصوب سواء من المشرق أو من المغرب أو من الأندلس أو من بلاد الروم، لذلك تجارتها في حركية دائمة ومتاجرها تشهد نشاطا كبيرا في البيع والشراء (الإدريسي أ.، 2006، الصفحات 181-182) وهنا الإدريسي يوضح مدى حرفية سكان المهديّة في صناعة الحرير، ولعل الأسواق

حميدة في المعاملات (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 283).

الذي تقام فيه) يأتي إليها التجار من كل الأقطار، كما أن تسميات هذه الأسواق فتسمى أحيانا على حسب القرية أو المدينة التي تقام فيها السوق، وأحيانا تسمى على أحد الصلحاء أو العلماء، وأحيانا تسمى على حسب اليوم الذي تقام فيه، كما أشار إلى أن هناك أسواقا ثابتة في مكانها لا تتغير، وهناك أسواق غير مستقرة كل مرة تقام في موضع من المدينة.

تطرق الإدريسي إلى الحالة التي آل إليها المغرب الإسلامي بعد دخول الهلاليين وهجر الكثير من الناس لقراهم وانعدام الأمن وهذا لا جرم يؤثر على النشاط التجاري في أسواق بلاد المغرب الإسلامي، وهذا ما جعل أسواق الحصون الأسبوعية تشتهر بشكل كبير في القرن السادس الهجري خاصة في المغرب الأدنى والأوسط نظرا للحالة السياسية التي تمر بها بلاد المغرب.

تضارب المصالح

يعلن المؤلفون أنه ليس لديهم تضارب في المصالح.

التعليقات

التعليق رقم 01: روجار الثاني Ruggero II: هو ملك صقلية، ولد سنة 1095م، وحكم صقلية وهو ابن العشرة أعوام سنة 1105م بعد وفاة أخيه سيمون في 28 سبتمبر 1105م، وبقي تحت وصاية أمه الكونتيسة أديليد، وقد تعلم الفروسية وفنون الحرب وهو صغير واعتبر حاكما على كل صقلية سنة 1130م (Aubé, 2016, pp. 108)، عاش في كنفه الجغرافي الإدريسي، ولقبه بالملك العظيم، أو المقتدر بالله، وكتب له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (إدريس، 2006، صفحة 4).

التعليق رقم 02: مارينو سانوتو Marino Sanuto: (1270 مؤرخ وجغرافي عاش في أواخر العصور الوسطى لقب بـ تورسلو Torsello من مدينة ريفوالتي Rivoalti في أرض القديس سيفيرو Seivero من أعمال البندقية، من أشهر أعماله هو كتابه المعروف بعنوان Liber Secretorum Fidelium Cruci (سانوتو، 1991، صفحة 17).

التعليق رقم 03: المنصور الموحي: هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي الكومي الموحي، الملقب بالمنصور بفضل الله، من ملوك الدولة الموحدية، ولد بقصر جده بمراكش سنة 554هـ/1160م، وقد بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة 580 هجرية، ولقد استقامت أحوال الدولة في فترة حكمه، وعظمت الفتوحات فيها، توفى سنة 595 هـ/1199م هجرية بمراكش، ثم نقل إلى تينمل (الزركلي، 2002، صفحة 203).

التعليق رقم 04: حصن تاكلات: هو حصن منيع على شرف مطل على جبل بجاية (مقديش، 1988، صفحة 94).

التعليق رقم 05: حصن بني زلدوي: ورد اختلاف بين الإدريسي والحميري حول مسمى الحصن، فالحميري يقول أنه مدينة بنيت على جبل بني زلدوي بينما الإدريسي يقول أن مسمى

نرى من خلال ما وصفه الإدريسي أن غالبية سكان مدينة زويلة يمتنعون التجارة وهم فيها لهم شأن كبير، وهم أعرف بخباياها حاذقين وأذكاء في ممارستها، لذلك كان لهم منها أرباحا كثيرة، وربما تعود نباهتهم في التجارة إلى موقع المدينة التي تعد بوابة لأرض السودان، وقد ذكر البكري أن بزويلة "يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها، ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم" (البكري، 1992، صفحة 657) فهي ملتقى للتجار من كل الأقطار والأمصار، ثم أن الإدريسي وصف لباسهم الذي يدل على رفعتهم وعلو شأنهم.

كما أشار الإدريسي إلى تجار مدينة أغمات بالمغرب الأقصى وأبلغ في وصفهم، إذ يعرف عن هؤلاء أنهم من قبائل هواره، وهم تجار أغنياء مياسير لا يعرف من هو أكثر منهم مالا ولا أوسع منهم أحوالا، وعلى أبواب منازلهم علامات تدل على درجة غناهم، "وذلك أن الرجل منهم إذا ملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه وأربعة آلاف يصرفها في تجارته أقام على يمين بابه وعن يساره عرصتين من الأرض إلى أعلى السقف وبنيناهم بالاجر وبالطوب والطين أكثر فإذا مر الخاطر بدار ونظر إلى تلك العرص مع الأبواب قائمة عدها فيعلم من عددها كم مبلغ مال صاحب الدار لأنه قد يكون من هذه العرص خلف الباب أربع وست مع كل عضادة اثنتان وثلاث (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 232)"، ولقد تغير حال هؤلاء التجار على حسب قول الإدريسي في عصره بسبب قبائل المصامدة التي جاءت على الكثير من أموالهم، إلا أنهم مع ذلك لا يزالون أغنياء ومياسير (الإدريسي أ.، 2006، صفحة 233).

خاتمة:

بناءً على ما تم عرضه في هذا المقال الذي حاولنا انطلاقا منه تغطية جوانب متعددة للأسواق المغربية كما وصفها الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق"، مبرزا تنوعها المكاني والزمني، خرجنا بجملة من الاستنتاجات التي نجلها فيما يلي:

يعد كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق من أهم مصادر الرحلة والجغرافيا التي تعطينا الكثير من المعلومات خاصة ما تعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي.

عرج الإدريسي في كتابه على الكثير من المدن في بلاد المغرب الإسلامي واصفا موقعها وعمرانها ومنتجاتها الزراعية والصناعية ونشاطها التجاري، إلا أنه في كثير من الأحيان أهمل جانب الأسواق فيها ولم يفصل في أحوالها أو يصفها وصفا دقيقا، مكتفيا بذكر حالها أي نشاطها في بيعها وتجارتها أم غير ذلك، بينما بعض المدن الكبرى لم يذكر أسواقها أبدا على غرار مدينة سجلماسة والمسيطة.

نتيجة تتبع وصف الإدريسي للمدن وخاصة أسواقها تبين أن هناك العديد من الأسواق تختلف مكانيا أو زمنيا فهناك أسواق يومية وهناك أسواق أسبوعية (وتسمى على حسب اليوم

إغناطيوس يوليانيوفيتش كراتشكوفسكي، (1963)، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة: إيغور بلياييف، ج1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الحسن بن أحمد المهلبى، (2006)، المسالك والممالك، جمع وتعليق: تيسير خلف، د. ب: دار التكوين.

أنخل جنثالث بالنشيا، (1955)، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مصر: مكتبة الثقافة الدينية.

حسين مؤنس، (1986)، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ط2، القاهرة: مكتبة مديولي.

حمدان عبد المجيد الكبسي، (1989)، أسواق العرب التجارية، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

خير الدين الزركلي، (2002)، الأعلام، بيروت: دار الملايين.

سيبويد، (1933)، الإدرسي، دائرة المعارف الإسلامية، مج 1، بيروت: دار الفكر.

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (1995)، معجم البلدان، ج4، ط2، بيروت: دار صادر.

صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، (2000)، الوافي بالوفيات، تج: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج1، لبنان: دار إحياء التراث.

عباس فاضل السعدي، (2010)، جهود الشريف الإدرسي الجغرافية، (مجلة أدب الفراهيدي، عدد خاص بمؤتمر الآداب، العدد 3.

عبد الرحمن بن محمد السجلماسي ابن زيدان، (2008)، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تج: علي عمر، ج1، ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

عبد الرحمن حميدة، (1980)، أعلام الجغرافيين العرب، ط2، دمشق: دار الفكر العربي.

علي بن عبد الله الدفاع، (1993)، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية، ط2، المملكة العربية السعودية: مكتبة التوبة.

عماد الدين الكاتب الأصبهاني، (1986)، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب والأندلس -، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، ج2، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر.

فاطمة بلهوارى، (2010)، التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغربية خلال العصر الوسيط، الرباط: منشورات الزمن.

كريم عاتي الخزاعي، (2010)، أسواق بلاد المغرب من قرن السادس هجري إلى نهاية القرن التاسع هجري، ط1، المملكة المغربية: الدار العربية للموسوعات.

كمال خلفات، (2020)، أثر هجرة العرب الهلالية إلى المغرب الأوسط على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد10، عدد 01.

لوبون غوستاف، (2016)، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتير، القاهرة: مؤسسة هندواي.

لويس ماسينيون، (1973)، الهيئات الحرفية والمدينة الإسلامية، تر: أكرم فاضل، مجلة المورد، المجلد الثاني، العدد الثالث، دار الحرية للطباعة، بغداد.

مجموعة من المؤلفين، (2012)، البازار السوق في التراث الإسلامي، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي الإدرسي، (1409)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، ط1، بيروت: عالم الكتب.

محمد حناوي، (1993)، نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ندوة ادب الرحلة والتواصل الحضاري، سلسلة الندوات 5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس.

محمد عبد الغني حسن، (1971)، الشريف الإدرسي أشهر جغرافيين العرب والإسلام، مصر: الهيئة العامة للتأليف والنشر.

الحصن بني زندوي، وكلاهما ذكر المدينة التي بنيت على الجبل بعد غزو مدينة جيجل من طرف حاكم صقلية، ويفصل الإدرسي بأنها أصبحت خراب، والظاهر أن الإدرسي يقصد حصنا آخر أسفل الجبل (الحميري، 1980، صفحة 184) (الإدرسي أ، 2006، صفحة 267).

التعليق رقم 06: غزة: بلد يافريقية، بينه وبين القيروان ثلاثة أيام، ينزلها القوافل القاصدة إلى الجزائر (الحموي، 1995، صفحة 203).

التعليق رقم 07: قرية ريغة: هي قرية تقع بالقرب من مدينة مليانة وجبل وانشرس، وهي قرية أرضها متسعة ذات حروث وفواكه وبساتين (الحميري، 1980، صفحة 280).

التعليق رقم 08: بني هلال: هم قبائل عربية يعود أصلهم إلى قيس بن عيلان (التميمي، 1998، صفحة 657) جاء من الحجاز إلى صعيد مصر ومن ثم إلى بلاد المغرب سنة (437هـ/1045م) في هجرة كبيرة، بعد أن أقطعهم المستنصر العبدي أرض المغرب بهدف التخلص من هاته القبائل وضرب المعز بن باديس الزيري في بلاد المغرب في آن واحد (إبراهيم، 1996، صفحة 51).

قائمة المراجع

إبراهيم حركات، (1996)، النشاط الإقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.

إبراهيم إبراهيم إسحاق، (1996)، هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان، الرياض، مركز الملك فهد للبحوث والدراسات.

ابن أبي أصيبعة، (1965)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت: دار مكتبة الحياة.

التميمي. السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، (1998)، الأنساب، بيروت، دار الفكر العربي.

ابن صاحب الصلاة، (1964)، المن بالإمامة، تج: عبد الهادي التازي، بيروت.

ابن عذاري المراكشي، (1985)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تج: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، (1980)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تج: إحسان عباس، ط2، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة.

أبو عبيد البكري، (1992)، المسالك والممالك، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

أبي العباس أحمد القلقشندي، (1915)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، مصر: المطبعة الأميرية.

أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور، (1968)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.

أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدرسي، (2006)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

أحمد الشكري، (د. ت)، المصادر العربية ببلاد السودان فيما بين القرن 8م ومطلع القرن 15 للميلاد القراءة والتأويل.

أحمد سوسة، (1974)، الشريف الإدرسي في الجغرافيا العربية، بغداد: نقابة المهندسين في الجمهورية العراقية.

أسامة الطيب جعيل، (د. ت)، الجغرافيا عين التاريخ المبصرة في بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط (ق03-05هـ/ 1109-11م)، مجلة إضاءات، العدد1، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، الجزائر العاصمة، الجزائر.

- محمود مقديش، (1988)، *نزهة النظر في عجائب التواريخ والأخبار*، ج 1، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- مؤلف مجهول، (1986)، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، بغداد: دار الشؤون الثقافية.
- مارينو سانوتو، (1991)، *كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها*، الأردن، مؤسسة دار الريحاني.
- ناصر الدين سعيدوني، (1999)، *من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين*، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- نعيم عميروش، (2019-2020)، *أسواق بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن السابع هجري (9م-13م)*، جامعة الجزائر 02: أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الوسيط.
- يحيى بن عمر، (د.ت)، *أحكام السوق، القاهرة: الشركة التونسية للنشر والتوزيع.*
- pierre Aubé, 2016, roger II de sicile un normand, en méditerranée, perrin, paris)

- كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

حاج نعام يعقوب، وآخرون (2026)، *الأسواق المغاربية من خلال كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي أنموذجاً* (ق6هـ/12م)، *مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية*، المجلد 18، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص.ص: 247-257.